١٨- لا تكن أنانيا...

اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن الأنانية هي: الأَثَرَة وحب النفس، ويقابلها الإيثار ".[١]

ومنشأ الأنانية وأساسها حب النفس حبًا زائدًا، يصل غالبًا إلى درجة الحب المطلق ، وتفضيلها عما سواها، وأنها أحق بما طلبت، وبما أحبت.

وهي تُزَكِّي في النفس صفات الغرور والكبر والعظمة، وتدعوها إلى ظلم الاخرين، فالأناني تتضخم ذاته، ويراها أحق بكل شيء، وأعلى من كل نفس.

إن أشقى الناس يا بني هو من يضطر إلى التعامل مع هذ الصنف من الناس، ومن يقع تحت رعايته وإمرته، فإن كان أبًا شقي أبناؤه به، وإن كان حاكمًا شقي شعبه من أنانيته، وتسلطه وجبروته، لا يدخر جبروتًا ولا قسوة ولا ظلمًا، ولا يتورع عن قتل شعبه، إن تجرأ أحد وأغضب نفسه، أو حاول أن ينتقص منها قدرًا، أو يقتنص منها حقًا.

وهي صفة تلحق الأمم كما تلحق الأفراد، فتجدها تعمل على استئثار خيرات الأمم الأخرى، فتحتلها وتستنزف خيراتها، وتمنعها أصحابها، وأولى الناس بها. بعقيدة استعلائية مغرورة متكبرة.

إن إبليس عليه لعنة الله هو أول من خاطب بكلمة " أنا " مجسدًا كل معانيها القبيحة، من إحساس بالاستعلاء والخيرية، قال معترضًا على ربه،

(١)المعجم الوجيز ص٢٦.

في تفضيل آدم عليه: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾. [الأعراف: ١٢] .

ولذلك كانت هذه الكلمة منبوذة في الإسلام، منقوص صاحبها، لأنه لا يرى إلا نفسه، ولا يقدم نفسًا عليها. رغباتها فوق كل رغبة، إن أرادت شيئًا فهو من حقها، ومن حقها وحدها.

حبه لنفسه يصل إلى درجة التقديس والعبادة ، وشغله الشاغل في إرضائها. ومع أن الإسلام لا يعيب على أحد حبه لنفسه ولكنه" لا يفهم حب النفس على أنه الانجراف وراء الشهوات! بل على العكس يعتبر ذلك ظلما للنفس. وإنه لكذلك في الحقيقة.

فالذي يطلق لنفسه العنان في كل ما توسوس به، يظلمها ويوردها موارد الهلاك.

إنه يفهم حب النفس على أنه النصيحة لها والتوجيه الصالح. التوجيه الذي تتحقق به سعادتها في الدنيا والآخرة".[١]

لأن حب النفس من الأمور الطبيعية، ومن الفطرة التي فطر الله المخلوقات عليها و"الإسلام لا يحارب الفطرة، ولكنه يهذبها. إنه يريد للناس أن يحبوا وأن يكرهوا.. لأن هذه فطرتهم.

ولكن الحب على إطلاقه، والكره على إطلاقه، يدمران النفس ويبددان طاقتها، ويوزعانها، ويستعبدانها فلا تملك الخلاص".[٢]

إن الإسلام يا بُني لا يعيب على أحد إن هو سعى في حاجة نفسه، ولكنه

(١)محمد قطب/ منهج التربية الإسلامية/ القاهرة دار الشروق ط السابعة عشر ٢٠٠٧م ص١٤١، ١٤٢.

(٢)المصدر السابق ص١٤١.

ينظر بعين الرضا والتقدير لكل نفس تسعى، لا من أجل نفعها وحسب، بل ومن أجل الآخرين كذلك، ولا تدخر جهدًا ينتفع الناس به، أويحقق لهم مصالحهم وأن يعينهم.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ر وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ".(١)

أن تعمل لتحقيق مصالحها، ولا تمنع غيرها من تحقيق الهدف ذاته، ودون أن تضر بها، تعيش حياة كريمة، وتسمح للآخرين بهذا القدر من الحياة.

فمبدأ.. أنا ومن بعدي الطوفان. لا يعرفه الإسلام، ولا يقره، ولا يحب أحدًا من أتباعه أن يأخذوا به، أويعتبرونه مبدأ تسير عليه حياتهم.

وهذا ليس مطلبًا إسلاميًا وحسب، بل هو أيضًا مطلب إنساني على وجه العموم.

لابد للإنسان من مراعة الآخرين، والاحساس بهم، وأن لا يرضى لهم مالا يرضاه على نفسه .عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".(٢)

وأن لا يخص نفسه بشئ دونهم ،فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " لَا يَأْتِي

(١)رواه مسلم من حديث أبي هريرة .
(٢) متفق عليه من حديث أنس.

أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ وَهُوَ حَاقِنٌ ، وَلَا يَؤُمَّنَّ أَحَدُكُمْ فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ، فَقَدْ خَانَهُمْ ". (١)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ ". (٢)

وَعَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ ". (٣)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ". (٤)

تفهم مما سبق يا بني أنك تستطيع أن تنفع نفسك، نفعًا عظيمًا، ليس من خلال عملك لنفسك وحسب، بل ومن خلال عملك من أجل الآخرين.

أسباب تؤدي إلى الأنانية...

اعلم يا بني أن هناك أسباب تؤدي بالإنسان إلى أن يكون أنانيًا في نهاية الأمر من هذه الأسباب...

١- سوء التربية : وهو أول وأعظم أسبابها، فالطفل المدلل الذي يأخذ كل ما يريده، والذي يشعره الأب بأنه أفضل من غيره، وأنه أحسن منهم. ينمو بداخله كل يوم حبه لذاته، واقتصار همته على تلبية رغباتها. وصدق قول الشاعر:

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

(٤)الطبراني في الكبير والأوسط ، وأبو نُعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب .

وينشأ ناشئ الفتيان منا ∴ على ما كان عوده أبوه

وهذا الطفل الذي رُبِّي على حب نفسه فقط، يعود بهذه التربية على الوالدين اللذين غرساها فيه، فإذا شب وكبر والديه، أهملهما إيثارًا لنفسه على نفسيهما، وحاجته على حاجتيهما.

٢ـ أنانية المجتمع : فعندما يجد الإنسان أن كل فرد من أفراد المجتمع يسعى فقط في مصلحة نفسه على حساب الآخرين، ولا يعمل أحد لصالح أحد، ولا يسعى أحد في حاجة أحد. وأنَّ الكل مشغول بنفسه، ونفسه فقط، فلماذا هو لا يفعل مثلهم، وربما يكون في قلبه نوايا خير كثيرة، ولكنه يبخل بها ويضن.

٣ـ الفقر والحاجة : فقليل ذات اليد المحتاج، لا ينشغل بغير فقره وحاجته، ولو كان في مقدوره نفع المجتمع، لبخل عليه بقدرته.

وهي أنانية وإن كان واقعه يفرضها عليه، غير أنه لو تغيرت حالته إلى الغنى والسعة، فإنه في الغالب لن يتخلى عن أنانيته، انتقامًا منه لهذا المجتمع الذي يرى فيه أنه قد ظلمه كثيرًا.

٤ـ أصحاب النقائص : فقد يدفع الاحساس بالنقص والحرمان في أمر ما إلى الأنانية، كنوع من أنواع الانتقام جراء هذا النقص والحرمان، ومن أمثلة هذا النقص: الحرمان الناتج عن فقد الأبوين أو أحدهما، أو النقص في عضو من أعضاء الجسد، أوالفقر والحاجة كما سبق، أو الاحساس المفرط بالدونية أمام أحد، أو مجتمع.

الإيثار: علاج الأنانية:

إنك يا بُني لن تجد الإسلام يرتضي فعلًا، ويحبه من أتباعه، مثلما يرتضي الإيثار منهم ويحبه، وهو أعظم علاج للأنانية وحب النفس، والإيثار أن تفضل نفس غيرك على نفسك في عطاء أو فضل. أن تؤخر نفسك، وتقدم عليها غيرها. ليس عن اضطرار ولا مضاضة. بل عن اختيار وسعادة.

انظر يا بُني إلى إيثار الأنصار المهاجرين على أنفسهم، إذ سمحوا لهم عن حب وسعادة أن يشاركوهم الأوطان، ويساكنوهم الديار، ويقاسموهم الأموال.

بل تغلبوا على الفطرة التي فطر الله جميع خلقه عليها، حين أبدوا استعدادهم أن يقاسموهم نساءهم، بأن يطلق من له أكثر من زوجة، ليتزوجها من لا زوجة له.

وإن كان هذا لم يحدث، فإنه مما لا نظير له في تاريخ البشرية قاطبة.

ولهذا استحقوا مدح الله تعالى وثنائه عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

واعلم يا بُني أنه لا إيثار فيما تتركه النفس تعففاً، أوزهدًا فيه، أو لقلة الاكتراث له، أو عدم نفعه.

بل الإيثار في إعطاء، أو ترك ما تحبه النفس وتحتاج إليه، وتود دوام امتلاكك له.

قيل إن عبد الله بن جعفر خرج إلى" ضيعة له فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبدالله ينظر إليه.

فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟.

قال: ما رأيت.

قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟.

قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع.

قال: فما أنت صانع اليوم؟.

قال: أطوي يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء! إن هذا الغلام لأسخى مني. فاشترى الحائط والغلام، وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه.

وقال عمر رضي الله عنه: أُهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ رأس شاة فقال: إنَّ أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات، ورجع إلى الأول". (١)

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٧٣ .

من مضار الأنانية...

١ـ الأنانية تجعل الأناني لا يفكر ولا يحب إلا نفسه.

٢ـ الأنانية تجعل الأناني حبيس نفسه، وعبدًا لها.

٣ـ الأنانية أخطر داء يصيب الإنسان.

٤ـ الأنانية تجعل الإنسان يتعالى على الآخرين.

٥ـ الأنانية سبب من أسباب الغرور والكبر.

٦ـ الأناني يرضى لنفسه ما لا يرضاه لغيره.

٧ـ الأناني يبغضه الناس ولا يحبون التقرب منه.

٨ـ الأناني ناقص الإيمان.

٩ـ الأناني لا يحب الخير لأحد.